التطور التاريخي لسياسة أمريكية الشرق أوسطية

د. محمد عبد العزيز ربيع

إن قيام الرئيس الأمريكي بالإعلان عن سياسة جديدة تجاه دولة أو منطقة ما هو بمثابة دعوة للأطراف المعنية الموالية والمعارضة للرئيس للإدلاء بآرائها والتعبير عن وجهات نظرها. وتعكس العناصر المختلفة للسياسة الخارجية عادة الأوضاع الداخلية، والتجربة التاريخية، والفلسفة السياسية، والتطلعات المستقبلية، ومصالح القوى النشطة في المجتمع، كما تتأثر بالأحداث والتطورات الدولية. ولما كانت عملية تعريف وتحديد المصالح الحيوية والتطلعات الوطنية هي من مهام النخب المهيمنة على المجتمع، فإن قوى اللوبي والمصالح الخاصة تشارك بفاعلية في صياغة سياسة أمريكا الخارجية.

إن دخول الولايات المتحدة أتون الحرب العالمية الأولى والثانية، وقيامها بدور أساسي في حسم تلك الحروب ورسم معالم النظام العالمي الذي نتج عنها، فرض على أمريكا الانغماس في العلاقات والمشاكل الدولية. وبعد تراجع الأهمية النسبية لدول أوروبا الرئيسية، قامت أمريكا بالاستيلاء على تركة أوروبا الاستعمارية وزعامة المعسكر الغربي. وإذا كانت الامتيازات البترولية في أوائل القرن الماضي قد شجعت أمريكا على الاهتمام بالعالم العربي، فإن قيام إسرائيل فيما بعد وتزايد أهمية البترول دفعا أمريكا لصياغة سياسة خاصة بالشرق الأوسط، تزامنت مع بدايات الحرب الباردة التي اتخذت من العالم الثالث والمنطقة العربية مسرحا لها.

قام الرئيس ترومان في عام 1947 بإصدار " مبدأ ترومان " الذي استهدف احتواء نفوذ الاتحاد السوفيتي وعقيدته الاشتراكية، وتقديم العون للدول " الحرة المستقلة من أجل الحفاظ على استقلالها وحريتها في وجه الأخطار التي تحيق بها". ولقد تبع ذلك تقديم المعونات الاقتصادية والعسكرية لحكام الدول الصديقة والعميلة في المنطقة العربية، والاعتراف بدولة إسرائيل في عام 1948 استجابة لضغوط صهاينة أمريكا، وذلك بالرغم من وقوف كافة مستشاري الرئيس، بمن فيهم وزيري الخارجية والدفاع ورئيس هيئة الأركان، ضد قرار الاعتراف بالكيان الصهيوني. ولقد جاءت معارضة المستشارين لاعتقادهم بأن القرار غير عادل، وأنه سيخلق حالة من عدم الاستقرار في المنطقة، وسيلحق الضرر بمصالح أمريكا القومية. وهكذا جاءت سياسة ترومان بمثابة التزام أمريكي بالحفاظ على الأمر الواقع، ودعم الدولة اليهودية، وفتح المجال لتدخل الأقليات في شؤون السياسة الخارجية، وتقديم المصالح الشخصية على المصالح الوطنية.

وفي عهد الرئيس أيزنهاور، اتجهت أمريكا إلى رفض مبدأ عدم الانحياز، والوقوف في وجه حركات التحرر العالمية، والقول بأن منطقة الشرق الأوسط تعاني من فراغ سياسي وأمني، واللجوء إلى إقامة الأحلاف العسكرية. وفي المقابل قامت مصر بقيادة الرئيس جمال عبد الناصر برفض فكرة الفراغ والأحلاف العسكرية، والمشاركة في قيادة حركة عدم الانحياز، مما أدى إلى وقوع صدام بين حركة التحرر العربية والدولة الأمريكية. وبينما قامت إدارتي ترومان وأيزنهاور ببلورة الشق الأول من سياسة أمريكا تجاه المنطقة العربية، والذي استهدف إحباط التطلعات الوحدوية والتحررية للأمة العربية، قامت إدارتي كنيدي وجونسون ببلورة الشق الثاني، والذي عمل على دعم إسرائيل واستخدامها أداة عسكرية لتحقيق الشق الأول.

حاول الرئيس نيكسون إحداث تغيير في سياسة أمريكا الشرق أوسطية، إلا أن حرب أكتوبر التي كادت أن تخسرها إسرائيل في عام 1973، واستيلاء كيسنجر على عملية صنع السياسة الأمريكية بسبب انشغال نيكسون في تبعات الحرب الفيتنامية، أدى إلى تعميق الالتزام

الأمريكي بأمن وتفوق إسرائيل العسكري على الدول العربية. ومن جملة ما فعله كيسنجر إلزام أمريكا بعدم فتح حوار مع منظمة التحرير الفلسطينية قبل قبول المنظمة بشروط من ضمنها الاعتراف بالدولة اليهودية، وإقناع نيكسون والرئيس فورد من بعده بأن أمن إسرائيل هو جزء من أمن أمريكا، وأن ضمان تفوقها العسكري يخدم هدفي احتواء النفوذ السوفيتي وتقويض حركة التحرر العربية.

ظهرت في عهد الرئيس كارتر بوادر تغير ايجابي في سياسة أمريكا تجاه المنطقة العربية. إلا أن الضغوط الداخلية النابعة من الكونجرس واللوبي الصهيوني منعته من الحوار مع منظمة التحرير الفلسطينية. وبعد توقيع معاهدة السلام المصرية الإسرائيلية وانتصار الثورة الإسلامية في إيران عام 1979، صدر "مبدأ كارتر" ليعلن أن منطقة الخليج منطقة حيوية بالنسبة لمصالح أمريكا الاقتصادية والإستراتيجية، وأن أمريكا لن تتردد في الدفاع عن مصالحها عسكريا إذا تعرضت تلك المنطقة لتهديدات خارجية. ثم جاء الرئيس ريجان ليوسع مجال مبدأ كارتر ويلزم أمريكا بالتدخل إذا تعرضت دول المنطقة لتهديدات خارجية أو داخلية. إضافة إلى ذلك، قام ريجان بتوقيع معاهدة تحالف إستراتيجي مع إسرائيل ومضاعفة حجم المعونات العسكرية والاقتصادية لها واعتبار المعونات منحا لا ترد. كما قامت إدارة ريجان بخلق جيش من المقاتلين المسلمين لمحاربة السوفييت في أفغانستان، وهو الجيش الذي أعطى ميلادا لمنظمة القاعدة ومجموعات المتطرفين والإرهابيين. إلا أن أواخر أيام ريجان شهدت فتح حوار مع منظمة التحرير الفلسطينية بعد اتصالات سرية غير مباشرة قمت شخصيا بالإشراف عليها وإعداد الوثيقة التي تمت المباحثات على أساسها.

في عهد الرئيس بوش الأب وقع الاحتلال العراقي للكويت، وتبع ذلك قيام أمريكا بحشد جيش كبير لتحرير الكويت شاركت فيه عدة دول عربية. لكن مشاركة العرب في الحرب والشرعية العربية التي منحتها لها كانت بغير ثمن، سوى عقد مؤتمر دولي للسلام لم ينتج عنه شيء يذكر. وحين وصل الرئيس كلينتون للحكم كانت الأبواب مفتوحة لتحقيق تقدم كبير في عملية السلام، خاصة بعد اتفاق أوسلو. إلا أن تردد كلينتون وسماحه للقادة الإسرائيليين بالمماطلة، وتسليم عملية السلام لشخصية يهودية (دينيس روس) لا هم لها سوى إعطاء المزيد من الوقت للمتطرفين لبناء المزيد من المستوطنات في الأراضي المحتلة، حرم كلينتون من معالجة القضية.

وحين وصل بوش الابن إلى الحكم كانت تعليماته الأولى إهمال الصراع العربي الإسرائيلي والتخلي عن سياسة كلينتون. وحين حاول وزير خارجيته كولن باول تذكيره بضرورة التعامل مع تلك القضية خوفا من تدهور الأمور الأمنية في المنطقة، كان جواب الرئيس: "دعها تسوء، لان الكثير من الأمور لا تتحسن إلا بعد أن تسوء". وبالفعل ساءت الأمور كثيرا بحيث لم يعد السوء يمس دول وشعوب المنطقة وحدهم بل إدارة بوش وسمعة أمريكا ومصالحها الحيوية. ولذا يمكن القول أن الأسس التي تم إرساءها في الأربعينات والخمسينات لم تتغير، بل تعمقت من حيث الالتزام بأمن إسرائيل، وتقوية نفوذ اللوبي الصهيوني في واشنطن، وتصعيد العداء الأمريكي للتطلعات العربية في التحرر والوحدة والتنمية.

للنشر يوم الثلاثاء 17-7-2007

د. محمد عبد العزيز ربيع professorrabie@yahoo.com
Website: yazour.com